

في هذا العدد:

أثر الحركات المنحرفة في الموروث المهدوي
(الواقفة نموذجاً)

السيد محمد القبانجي

أشراط القيام

الشيخ جاسم أفضل الوائلي

الولاية التدبيرية للإمام الغائب

الشيخ حسين عبد الرضا الأسدي

وظيفة المنتظر

علي السيد محمد حسين الحكيم

الانتظار والتمهيد (الأدوار والمكتسبات)

مرقضى علي الحلي

الدولة المهدوية وإشكالية الزمان

الشيخ حميد عبد الجليل الوائلي

الانتظار والتمهيد الأدوار والمكتسبات

مرتضى علي الخلي

قبل الشروع في بيان مقاصد البحث وأغراضه، لابد من توضيح المبادئ التصورية فيه، وهي المفاهيم العقدية التي تدور حولها وظيفة الإنسان المؤمن في عصر الغيبة الكبرى، من الترقب والانتظار والتمهيد، بحسب لسان الروايات الماثورة، حتى يكون القارئ على بصيرة في تلقي الدلالات التصديقية من هذه المفاهيم، وما يترتب عليها من آثار ومعطيات، لها مساس مباشر بآلية التعاطي الاعتقادي السليم مع ما يعتقده في عصر غيبة إمام العصر الإمام المهدي عليه السلام.

بيان المصطلحات - لغةً ومفهوماً:

١ - الترقب:

قال ابن منظور في لسان العرب: وارتَقَبَهُ: انتَظَرَهُ ورَصَدَهُ. والترَقُّبُ: الانتظار، وكذلك الارتقَابُ. والرقِيبُ: المُتَظَرُّ^(١).

وذكر الزبيدي في تاج العروس: (والرَّقِيبُ: المُتَظَرُّ)^(٢).

١. لسان العرب: ابن منظور، ج ١، ص ٤٢٥، مادة رقب.

٢. تاج العروس: الزبيدي، ج ٢، ص ٣٠، مادة رقب.

٢ - الانتظار:

ذكر ابن منظور في لسان العرب: (وَالنَّظَرُ: الانتظار. ويقال: نَظَرْتُ فلاناً وانتَظَرْتُهُ بمعنى واحد)^(١).

وقال ابن الأثير: (يقال نظرتَه وانتَظرتَه، إذا ارتقبت حضوره)^(٢).

٣ - التمهيد:

قال ابن منظور: (مَهَّدْتُ لِنَفْسِي وَمَهَّدْتُ أَي جَعَلْتُ لَهَا مَكَاناً وَطِيباً سهلاً.

وَمَهَّدَ لِنَفْسِهِ خيراً وَامْتَهَدَهُ: هَيَّأَهُ وَتَوَطَّاهُ)^(٣).

وذكر الشريف الرضي رحمته الله: (والمهد أيضاً: مصدر مهد، يمهد، مهداً. إذا مكن موضعاً لقدمه)^(٤).

وبين الشيخ الطوسي رحمته الله: (الماهد الموطئ للشيء المهيئ لما يصلح الاستقرار عليه، مهد يمهد مهداً، فهو ماهد، ومهد تمهيداً، مثل وطأ توطئة)^(٥).

التداخل الدلالي بين هذه المفاهيم الثلاثة:

إنَّ تداخل هذه المفاهيم الثلاثة (الترقب - الانتظار - التمهيد) في دلالاتها المعطاة، مع بعض الفارق النفسي والعملي بينها في حد ذاتها، يمكن أن يجعلها مندرجة تحت جامع مفهوم الانتظار، والذي أخذته الروايات المأثورة في لسانها

١. لسان العرب: ابن منظور، ج ٥، ص ٢١٦.

٢. النهاية في غريب الحديث والأثر: ابن الأثير، ج ٥، ص ٧٨، ط - مؤسسة إسماعيليان للطباعة والنشر والتوزيع، قم، إيران.

٣. لسان العرب: ابن منظور، ج ٣، ص ٤١١، مادة مهد.

٤. تلخيص البيان في مجازات القرآن: الشريف الرضي، ص ٢٢٦، ط ١، القاهرة - ١٩٥٥ م.

٥. التبيان في تفسير القرآن، الشيخ الطوسي، ج ٩، ص ٣٩٥، ط ١ - ١٤٠٩ هجري.

أخذاً إطلاقياً، توسعةً لمعناه، واستيعاباً لمصاديقه، بحسب مقتضيات الحكمة والظروف الموضوعية والقدرة والإمكانات عند المؤمنين.

وقد ذكر الراغب الأصفهاني صاحب المفردات في مادة (نظر) ما يفيد ذلك، فقال: (النظر تقليب البصر والبصيرة لإدراك الشيء ورؤيته، وقد يراد به التأمل والفحص، والنظر الانتظار، يقال نظرتُه وانتظرته، قال تعالى: ﴿وَانْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ﴾ (هود: ١٢٢)، وقال تعالى: ﴿فَهَلْ يَنْتَظِرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِهِمْ قُلْ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ﴾ (يونس: ١٠٢))^(١).

وعلى أساس ذلك التداخل المفاهيمي دلاليّاً، فإنّ فهمنا لمعنى الانتظار لغةً واستظهاراً يجعلنا قادرين على فهم معناه اعتقاداً وتعبداً، لأنّ مفهوم انتظار الإمام المهدي عليه السلام، قد أخذ موقعاً مكيناً في المنظومة العقائدية والعبادية للإنسان المسلم والمؤمن معاً في لسان الروايات المعتمدة والمتكاثرة، حتى أصبح حقيقةً عقديةً، تحدت معالمها وثمراتها في عصر النبي الأكرم محمد صلى الله عليه وآله والأئمة المعصومين عليهم السلام، فعن أمير المؤمنين علي عليه السلام، أنه قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أفضل العبادات انتظار الفرج»^(٢).

فالانتظار يستبطن الترقب والتهيؤ للإمام المهدي عليه السلام، وهو وظيفة عقدية للمنتظر والمترقب، لأنه مرتكز على الاعتقاد الحق بالإمامة الواجبة

الباقية.

١. مفردات غريب القرآن - الراغب الأصفهاني: مادة نظر/ ص ٤٩٧ - ٤٩٨.

٢. كمال الدين وتمام النعمة - الصدوق: ص ٢٨٧، مؤسسة النشر الاسلامي، التابعة لجامعة المدرسين بقم المشرفة - إيران.

وطبقاً لما حدده المعصومون عليهم السلام لنا من معالم مفهوم انتظار الإمام المهدي عليه السلام، وبيان صبغته التعبدية، يمكن لنا إدراك ماهية الانتظار ومقتضياته، وتجليه في صورة التزام الإنسان المؤمن بالعقيدة الحقّة والسلوك الصالح في عصر الغيبة الكبرى، فضلاً عن اشتغال معناه اللغوي على التفحص والترقب الفطن في شأن العقيدة والتشريع والحياة، هذا من جهة.

ومن جهة أخرى فإنّ مفهوم الانتظار قد تم بيانه قرآنيّاً، قال الله تعالى:

﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا قُلِ انتظِرُوا إِنَّا مُتَنْظِرُونَ﴾ (الأنعام: ١٥٨)، ﴿فَانتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنتَظِرِينَ﴾ (الأعراف: ٧١)، ﴿وَيَقُولُونَ لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَقُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلَّهِ فَانتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنتَظِرِينَ﴾ (يونس: ٢٠)، ﴿فَهَلْ يَتَظَرُّونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِهِمْ قُلْ فَانتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنتَظِرِينَ﴾ (يونس: ١٠٢)، ﴿وَانْتَظِرُوا إِنَّا مُتَنْظِرُونَ﴾ (هود: ١٢٢).

فالانتظار في مفهومه القرآني يرتبط كلياً بحتمية تحقق الشيء المنتظر وقوعاً، وصدقته من أول وهلة إلى يوم تحقّقه بإذن الله تعالى.

والملاحظ في سياقية الآيات القرآنية المتقدمة هو أن الانتظار قد يأخذ بعداً زمانياً طويلاً في امتداده، وبعداً عقدياً عميقاً، يستدعي الإعداد والعمل المسبق، والتوطئة للمكان والظرف والتقبل، ليتجلى اختبار المنتظرين به إيماناً وسلوكاً، إلى أن يتحقق استقرار الأمر بالهدى وإقامة الحق والعدل في الأرض، وترجح كفته على جانب الباطل والظلم.

مدخل تصديقي في مطلبين:

المطلب الأول: تصيد العنوان وانتزاعه من الأدلة اللفظية روائياً، كما هو معهود عند الفقهاء:

إنَّ مفهوم التمهيد، وإن لم يرد بلفظه نصاً في لسان الروايات الخاصة في بيان وظيفة المكلف المؤمن في عصر الغيبة الكبرى، وطريقة تعاطيه الاعتقادي مع ما يؤمن به من غيبة إمام زمانه، الإمام المهدي عليه السلام، إلا أنه يمكن تصيد هذا العنوان وانتزاعه من مجمل إطلاقات بعض الروايات الماثورة في هذا المجال، والتي سنذكرها ضمناً.

أو يمكن انتزاع مفهومه ودلالاته من بعض المفاهيم العقدية المناظرة المذكورة نصاً في متن بعض الروايات، بما يساوقه في الإفادة والمعطى، وذلك بحكم التناظر اللغوي استعمالاً بين مفهومي التمهيد والتوطئة، كمفهوم (التوطئة للمهدي سلطانه)، الذي ورد في لسان روايات مختلفة، نذكر نماذج منها:

١ - ما رواه السيد ابن طاووس عن محمد بن الحنفية، قال: تخرج راية سوداء لبني العباس، ثم تخرج من خراسان أخرى سوداء، قلائسهم سود، وثيابهم بيض، على مقدمتهم رجل يقال له: شعيب بن صالح، أو: صالح بن شعيب من تميم، يهزمون أصحاب السفيناني حتى ينزل بيت المقدس، يوطئ للمهدي سلطانه، ويمد إليه ثلاثمائة من الشام، يكون بين خروجه وبين أن يسلم الأمر للمهدي اثنان وسبعون شهراً^(١).

١. التشريف بالمتن في التعريف بالفتن: السيد ابن طاووس، ص ١١٨، مؤسسة صاحب الأمر، الطبعة الأولى، ١٤١٦ هـ.

وهذه الرواية تنص على مفهوم التوطئة للإمام المهدي عليه السلام، وتكشف عن الإعداد المسبق من قبل المنتظرين له، قبل خروجه وظهوره، بحيث يسهم في تثبيت دعائم القيام، واستقرار سلطة الدولة المهدوية الموعودة.

٢ - وعن محمد بن الحنفية، قال: (تخرج راية من خراسان، ثم تخرج أخرى، ثيابهم بيض، على مقدمتهم رجل من بني تميم، يوطئ للمهدي سلطانه، بين خروجه وبين أن يسلم الناس للمهدي سلطانه اثنان وسبعون شهراً)^(١).

وهذه الرواية أيضاً تؤكد نفس مضمون الرواية الأولى أنفة الذكر في التوطئة للمهدي من قبل المنتظرين، بفارق عدم ذكر اسم الرجل من بني تميم، وهو شعيب بن صالح، أو: صالح بن شعيب، على الاختلاف في اسمه.

٣ - عن عبد الله بن الحرث، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: (يخرج ناس من المشرق فيوطئون للمهدي - يعني سلطانه)^(٢).

وبحكم منطوق هذه الرواية في عدم ذكر راية التوطئة أو اسم صاحبها، يمكن استظهار أن التوطئة للمهدي لا تنحصر براية معينة أو برجل ما، وإن حددت جهة التوطئة مكانياً، كما في سابقاتها من الروايات، بل تتوسع لتشمل عامة المنتظرين المؤمنين المعتقدين بالظهور والقيام بالحق.

١. عقد الدرر في أخبار المنتظر: المقدسي الشافعي السلمي (من علماء القرن السابع الهجري)، تحقيق الدكتور عبد الفتاح محمد الحلو - ١٢٦ - الطبعة الأولى ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م.

٢. شرح الأخبار في فضائل الأئمة الأطهار: القاضي أبي حنيفة النعمان المغربي، ج ٣، ص ٥٦٣، مؤسسة النشر الاسلامي، التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة - إيران.

٤ - روى العلامة المجلسي (طاب ثراه) في بحار الأنوار، في باب نصره أهل المشرق للمهدي عليه السلام: (عن عبد الله بن الحارث بن جزء الزبيدي قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: يخرج ناس من المشرق، فيوطئون للمهدي يعني سلطانه)^(١).

٥ - قد بين الشيخ علي الكوراني في المعجم الموضوعي أن معنى التوطئة في حديث (يخرج ناس من المشرق فيوطئون للمهدي سلطانه)، هو التجهيز والتهيأة، طبقاً لما ذكرته طرق العامة، والتي خرج أسانيداً ومصادرها وتوثيقها من كتبهم.

فقال: (حديث: يخرج ناس من المشرق يوطئون للمهدي عليه السلام رواه ابن ماجه: ٢ / ١٣٦٨ عن عبد الله بن الحارث بن جزء الزبيدي، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

«يخرج ناس من المشرق، فيوطئون للمهدي»، ومعنى وطأ له الأمر: جهزه وهيأه، ومثله الطبراني في الأوسط: ١ / ٢٠٠، بتفاوت يسير، وعنه بيان الشافعي / ٤٩٠، وقال: هذا حديث حسن صحيح، روته الثقات والأثبات)^(٢).

وبناء على ما ذكره الشيخ الكوراني هنا في بيان معنى التوطئة وتفسيرها بالتجهيز والتهيأة، ومن مجمل الروايات المذكورة، يتضح المراد بالتمهيد المساوق والمناظر لغةً للتوطئة، ويمكن تصيده عنواناً متزجاً من سياقاتها اللفظية والدلالية، دون أي مشاحة في الأخذ به، كاصطلاح غير مذكور نصاً.

١. بحار الأنوار: العلامة المجلسي، ج ٥١، ص ٨٧، دار إحياء التراث العربي - بيروت - لبنان، الطبعة الثالثة المصححة، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

٢. المعجم الموضوعي لأحاديث الإمام المهدي عليه السلام: علي الكوراني العاملي، ص ٦٠٠، الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٦م.

المطلب الثاني: معهودية انتظار بعثة النبي، وانتظار ظهور الإمام المهدي عليه السلام وأثر ذلك:

لم يكن مفهوم الترقب أو الانتظار من جانب الأنبياء والمؤمنين لنبي ما، أو حتى التمهيد والتوطئة من قبل الله تعالى لبعثة نبي أو تنصيب وصي، أمراً مستبعداً عن أحداث حراك النبوة والوصاية على مر التاريخ المنصرم.

بل كان أمراً معهوداً ومعروفاً، ولم يكن أيضاً هناك مانع عقلي أو شرعي، يحول دون تعاهد الأنبياء بالتبشير والانتظار والتمهيد لبعضهم بعضاً، سيما مع وجود مقتض عقدي، وهو تبليغ الرسالات وإتمام الحجة الإلهية على الناس أجمعين.

وقد نص عليه القرآن الكريم في آيات شريفة عدة، منها ذكر اسم النبي الأكرم محمد ﷺ باسمه ووصفه: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَاَلَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (الأعراف: ١٥٧).

﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّراً بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ (الصف: ٦).

وفي الرواية المفصلة عن الإمام محمد الباقر عليه السلام ما ينص على ذلك التعاهد والتبشير والانتظار، وفيها أيضاً دلالات تصديقية، تاريخية التحقق، ومستقبلية الوقوع حتماً: (فلما نزلت التوراة على موسى عليه السلام، بشر بمحمد ﷺ، وكان بين يوسف وموسى من الأنبياء، وكان وصي

موسى' يوشع بن نون عليه السلام، وهو فتاه الذي ذكره الله تعالى في كتابه، فلم تنزل الأنبياء تبشر بمحمد عليه السلام، حتى بعث الله تبارك وتعالى المسيح عيسى' بن مريم فبشر بمحمد عليه السلام، وذلك قوله تعالى: ﴿يَجِدُونَهُ﴾ يعني اليهود والنصارى: ﴿مَكْتُوباً﴾ يعني صفة محمد عليه السلام ﴿عِنْدَهُمْ﴾ يعني ﴿فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْعُرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ وهو قول الله تعالى يخبر عن عيسى:

﴿وَمُبَشِّراً بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾، وبشر موسى' وعيسى' بمحمد عليه السلام، كما بشر الأنبياء عليهم السلام، بعضهم ببعض، حتى بلغت محمداً عليه السلام، فلما قضى محمد نبوته واستكملت أيامه، أوحى الله تبارك وتعالى إليه يا محمد قد قضيت نبوتك واستكملت أيامك، فاجعل العلم الذي عندك والإيمان والاسم الأكبر وميراث العلم وآثار علم النبوة في أهل بيتك عند علي بن أبي طالب عليه السلام، فإني لم أقطع العلم والإيمان والاسم الأكبر وميراث العلم وآثار علم النبوة من العقب من ذريتك كما لم أقطعها من بيوتات الأنبياء الذين كانوا بينك وبين أريك آدم...^(١).

فمفاهيم الترقب والانتظار والتوطئة والتمهيد تمثل في حد ذاتها عند المؤمنين نوعاً من الاستجابات العقدية للإيمان والعمل الصالح في تقريب تحقق الهدى والعدل المنتظر في الأرض، رفضاً للضلال والظلم على يد الإمام المهدي عليه السلام.

ولقائل أن يقول: إن انتظار بعثة الأنبياء والتبشير بهم، لا يسبقه تمهيد أو توطئة فعلية من قبل الأنبياء أنفسهم، وإنما يقتصر فقط على ذكر أسمائهم وصفاتهم في الكتب السماوية المنزلة بين الأديان الإلهية، كما في مورد الآيات

١. الكافي: الكليني، ج ٨، ص ١١٧، الطبعة الثالثة ١٣٨٨ هـ - الناشر: دار الكتب الإسلامية - طهران.

القرآنية آنفة الذكر، فكذلك في جانب الترقب والانتظار للإمام المهدي عليه السلام فقد لا تسبقه التوطئة الفعلية أو التمهيد أيضاً، بل يقتصر على ذكر العلامات قبيل ظهوره؟

والجواب: يكمن في عدم وجود المانع من الاستجابة الفعلية لمقتضيات التقريب والتمكين للإمام المنتظر الموعود في الواقع على مستوى الاستعداد والطاعة، بوصفها توطئة معقولة ومشروعة، لها تأثيرها الموضوعي والظرفي في ما يرتجى حصوله وتحققه يقيناً، بحسب ما أشارت إليه دلالات روايات الانتظار والترقب، والدعاء بتعجيل الفرج وتقريبه له عليه السلام بوصفه خاتم الأوصياء والحجج الإلهية.

وهذا المعنى القيم والمعقول والمشروع بينه الشيخ ناصر مكارم الشيرازي في كتابه (الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل)، وقال ما نصه: (فإن مسألة انتظار حكومة الحق والعدل، أي حكومة المهدي عليه السلام وظهور المصلح العالمي، مركبة في الواقع من عنصرين: عنصر نفى، وعنصر إثبات، فعنصر النفي هو الإحساس بغرابة الوضع الذي يعانيه المنتظر، وعنصر الإثبات هو طلب الحال الأحسن! وإذا قدر لهذين العنصرين أن يحلا في روح الإنسان، فإنهما يكونان مدعاة لنوعين من الأعمال وهذان النوعان هما:

١ - ترك كل شكل من أشكال التعاون مع أسباب الظلم والفساد، بل عليه أن يقاومها، هذا من جهة.

٢ - وبناء الشخصية والتحرك الذاتي وتهيئة الاستعدادات الجسمية والروحية والمادية والمعنوية، لظهور تلك الحكومة العالمية الإنسانية، من جهة أخرى.

ولو أمعنا النظر لوجدنا أن هذين النوعين من الأعمال، هما سبب في اليقظة والوعي والبناء الذاتي.

ومع الالتفات إلى مفهوم الانتظار الأصيل، ندرك بصورة جيدة معنى الروايات الواردة في ثواب المنتظرين وعاقبة أمرهم، وعندها نعرف لم سمّت الروايات المنتظرين بحق، بأنهم بمنزلة من كان مع القائم تحت فسطاطه ﷺ، أو أنهم تحت لوائه، أو أنهم كمن يقاتل في سبيل الله بين يديه أو كالمستشهد بين يديه، أو كالمتشحط بدمه!

ترى أليست هذه التعابير تشير إلى المراحل المختلفة ودرجات الجهاد في سبيل الحق والعدل، التي تناسب ومقدار الاستعداد ودرجة انتظار الناس؟ كما أن ميزان التضحية ومعياريها ليس في درجة واحدة، إذا أردنا أن نزن تضحية المجاهدين، في سبيل الله ودرجاتهم وآثار تضحياتهم، فكذلك الانتظار وبناء الشخصية والاستعداد، كل ذلك ليس في درجة واحدة، وإن كان كل من هذه العناوين من حيث المقدمات والنتائج يشبه العناوين آفة الذكر، فكل منهما جهاد، وكل منهما استعداد وتهيؤ لبناء الذات...^(١).

وبناءً على ما تقدم من المدخل، يقع البحث في محاور أساسية ثلاثة، هي:

المحور الأول: قراءة في الوظيفة العامة للمؤمن في تحريره عن إمام زمانه من خلال الأدلة الروائية، ودخالة ذلك في الترقب والانتظار والتمهيد، على هدى وبصيرة ويقين:

المحور الثاني: بيان منظومة العلامات في العقيدة المهدوية، ولماذا التركيز على العلامة؟ وماذا تعني لنا وما فائدتها، فهل هي لتطمئن القلوب دون التمهيد المسبق أم ماذا؟

١. الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، ج ٦، ص ٢٥.

المحور الثالث: قد يقال: نحن مأمورون بالانتظار، ولا يوجد أمر بالتمهيد، فهل الانتظار بإطلاقه وبمعناه الواسع يشمل التمهيد فعلاً؟

المحور الأول:

نماذج من بحث بعض الأصحاب، وتحريمهم عن الإمام المعصوم بعد الإمام السابق:

١ - نموذج في وقت الإمام علي بن الحسين عليه السلام:

(ما روي عن أبي خالد الكابلي أنه قال: قلت لعلي بن الحسين عليه السلام: من الإمام بعدك؟ قال: محمد ابني، يقر العلم بقرأ، ومن بعد محمد جعفر اسمه عند أهل السماء (الصادق). قلت: كيف صار اسمه الصادق، وكلكم الصادقون^(١)؟ قال: حدثني أبي، عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: إذا ولد ابني جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب فسموه (الصادق) فإن الخامس الذي من ولده الذي اسمه جعفر يدعي الإمامة اجترأ على الله وكذباً عليه، فهو عند الله، جعفر الكذاب المفترى على الله، ثم بكى علي بن الحسين عليه السلام، فقال: كأني بجعفر الكذاب، وقد حمل طاغية زمانه على تفتيش أمر ولي الله والمغيب في حفظ الله، فكان كما ذكر)^(٢).

إنما كانت وتكون وظيفة المؤمن مرتكزة في التحري والبحث عن الإمام اللاحق بعد السابق، اسماً ونصاً وتعييناً وعلامةً، وذلك لقطع الطريق على المدعين للإمامة، كذباً وزوراً في كل زمان، وحتى يكون مصب اعتقاده في محله واقعاً وإجزاءً، وهذه الوظيفة هي في حد نفسها تمثل نحواً من أنحاء الترقب

١. وفي نسخة الاحتجاج: ج ٢، ص ٤٩، ورد: (صادقون).

٢. الخرائج والجرائح: قطب الدين الراوندي، ج ١، ص ٢٦٩، تحقيق ونشر مؤسسة الإمام المهدي عليه السلام قم المقدسة.

والانتظار والتمهيد في طول تسلسل الأئمة المعصومين عليهم السلام، عبر مراحل التاريخ والغيبة حتى الظهور الشريف.

٢ - نموذج في وقت الإمام محمد الباقر عليه السلام:

(عن أبي حمزة الثمالي^(١))، قال: كنت عند أبي جعفر محمد بن علي الباقر عليه السلام ذات يوم، فلما تفرق من كان عنده قال لي: يا أبا حمزة، من المحتوم^(٢) الذي لا تبديل له عند الله قيام قائمنا، فمن شك فيما أقول لقي الله سبحانه، وهو به كافر، وله جاحد، ثم قال: بأبي وأمي المسمى باسمي، والمكنى بكنيتي، السابع من بعدي، بأبي من يملأ الأرض عدلاً وقسطاً، كما ملئت ظلماً وجوراً - ثم قال: يا أبا حمزة، من أدركه فلم يسلم له فما سلم لمحمد وعلي عليهم السلام، وقد حرم الله عليه الجنة، ومأواه النار، وبئس مثوى الظالمين^(٣).

وهنا يبين الإمام محمد الباقر عليه السلام للمؤمنين المنتظرين وظيفة التسليم المطلق بإمامة الإمام المهدي عليه السلام، وحثية ظهوره وقيامه يقيناً، وخطورة عدم التسليم له في حال إدراك ظهوره وعصره، من حيث المصير والعاقبة والجزاء.

١. هو ثابت بن دينار، الثقة الجليل صاحب التفسير، وراوي الدعاء المعروف في أسحار شهر رمضان، كان من زهاد أهل الكوفة ومشايخها، وكان عربياً أزدياً، خدم علي بن الحسين، ومحمد بن علي، وجعفر بن محمد عليهم السلام - انظر الكافي: الكليني، ج ١، ص ٣٤ - الهامش.
وقال النجاشي العالم الرجالي عنه: هو كوفي، ثقة، لقي علي بن الحسين وأبا جعفر الباقر وأبا عبد الله الصادق، وأبا الحسن الرضا عليهم السلام وكان من خيار أصحابنا وثقاتهم ومعتمدتهم - انظر: رجال النجاشي: ص ١١٥.

٢. المحتوم: هو القضاء الذي يكون فيه تقدير الله تعالى للأمر مبرماً وقطعياً، لا يرد، ولا يبدل، ولا يتغير، وهو الذي عبر عنه القرآن الكريم بالسنة الإلهية في قوله تعالى: ﴿لَنْ نَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ نَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَحْوِيلًا﴾ (فاطر: ٤٣)، ﴿سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ نَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ (الفتح: ٢٣).

٣. الغيبة: ابن أبي زينب النعماني، ص ٨٩، منشورات أنوار الهدى - إيران - قم، الطبعة الأولى - ١٤٢٢ هـ. ق.

وأما لماذا يجب أن يكون قيام القائم بأمر الله تعالى وبإذنه، وهو الإمام المهدي عليه السلام من المحتوم الذي لا تبديل له عند الله تعالى؟

فالجواب: ذلك لأن عدم حتمية قيام القائم الإمام المهدي عليه السلام سوف يلزم منها المعذرية والحجية للناس في آخر الزمان على الله تعالى، في حال تركه الناس من دون حجة منصوبة لهم، وحاشاه سبحانه، إذ إنه هو العزيز الحكيم، ولذلك ركز القرآن الكريم على هذه الحقيقة الدينية، حقيقة حتمية نصب الحجاج الإلهية، أنبياء وأئمة، وحتمية قيامهم بأمر الله تعالى في هذه الحياة الدنيا، فقال الله تعالى: ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ (النساء: ١٦٥).

٣ - نموذج في وقت الإمام جعفر الصادق عليه السلام:

(عن الفضل بن عمر قال: دخلت على الصادق عليه السلام فقلت: لو عهدت إلينا في الخلف من بعدك، فقال: الإمام بعدي ابني موسى، والخلف المأمول، المنتظر محمد بن الحسن بن علي بن محمد بن علي بن موسى^(١)).

ويلاحظ في هذه الرواية أن جواب الإمام الصادق عليه السلام على سؤال الراوي، قد ذكر بالتفصيل مجموع الأئمة المعصومين المنصوبين من بعده اسماً ونصاً، بما فيهم خاتمهم الإمام المهدي عليه السلام، بما تكتمل به وظيفة البحث والتحري لكل من يعتقد بهم جميعاً، وحتى يكون الانتظار ومقتضياته العقدية على بصيرة وهدى ويقين.

٤ - نموذج في وقت الإمام الكاظم عليه السلام:

ذكر الشيخ الكليني في الكافي: عن داود بن سليمان، قال قلت لأبي إبراهيم - الإمام موسى الكاظم عليه السلام، إني أخاف أن يحدث حدث، ولا ألقاك فأخبرني من الإمام بعدك، فقال ابني فلان، يعني أبا الحسن - الإمام الرضا عليه السلام.

وعن النصر بن قابوس قال قلت لأبي إبراهيم عليه السلام، إني سألت أباك عليه السلام، من الذي يكون من بعدك فأخبرني أنك أنت هو فلما توفي أبو عبد الله عليه السلام، ذهب الناس يميناً وشمالاً، وقلت: فيك أنا وأصحابي فأخبرني من الذي يكون من بعدك من ولدك، فقال: ابني فلان - يعني أبا الحسن الرضا عليه السلام^(١)،^(٢).

(عن داود الرقي قال: قلت لأبي إبراهيم موسى بن جعفر عليه السلام جعلت فداك قد كبر سني فحدثني من الإمام بعدك؟ قال: فأشار إلى أبي الحسن الرضا عليه السلام، وقال: هذا صاحبكم من بعدي)^(٣).

وهكذا يستمر البحث والتحري عن معرفة الإمام اللاحق للسابق، بحكم المنعطفات التي قد تحدث نتيجة إلقاء الشبهات وكثرة الفتن ووقوع الانحراف العقائدي، كما حصل بعد استشهاد الإمام موسى الكاظم عليه السلام وظهور القائلين بالوقف، أمثال علي بن أبي حمزة البطائني وغيره.

بحيث وصل بهم الحال إلى إنكار موت الإمام الكاظم عليه السلام وابتداع عقيدة الوقف، طمعاً بالمال.

٥ - نموذج في وقت الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام:

(عن عبد السلام بن صالح الهروي قال: سمعت دعبل بن علي الخزاعي يقول: أنشدت مولاي الرضا علي بن موسى عليه السلام، قصيدي التي أولها:

١. شرح أصول الكافي: المولى المازندراني، ج ٦، ص ١٨٤ - ط ١ - مؤسسة إحياء التراث العربي - بيروت، ١٤٢١ هـ.

٢. الكافي: الكليني، ج ١، ص ٣١٣، الطبعة الثالثة ١٣٨٨ هـ - الناشر: دار الكتب الإسلامية - طهران.

٣. عيون أخبار الرضا، الصدوق، ج ١، ص ٣٣، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٤ هـ.

مدارس آيات خلت من تلاوة ومنزل وحي مقفر العرصات

فلما انتهيت إلى قولي:

خروج إمام لا محالة خارج يقوم على اسم الله والبركات

يميز فينا كل حق وباطل ويجزي على النعماء والنقمات

بكى الرضا عليه السلام، بكاءً شديداً، ثم رفع رأسه إليّ فقال لي: «يا خزاعي نطق روح القدس على لسانك بهذين البيتين، فهل تدري من هذا الإمام، ومتى يقوم؟» فقلت: لا يا مولاي، إلا أني سمعت بخروج إمام منكم، يظهر الأرض من الفساد ويملأها عدلاً، كما ملئت جوراً.

فقال: «يا دعبل الإمام بعدي محمد ابني، وبعد محمد ابنه علي، وبعد علي ابنه الحسن، وبعد الحسن ابنه الحجة القائم المنتظر في غيبته، المطاع في ظهوره، لو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد لطول الله عز وجل، ذلك اليوم حتى يخرج، فيملأ الأرض عدلاً، كما ملئت جوراً، وأما متى، فأخبار عن الوقت، فقد حدثني أبي، عن أبيه عن آبائه عليه السلام، أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، قيل له: يا رسول الله متى يخرج القائم من ذريتك؟ فقال عليه السلام: مثله مثل الساعة التي لا يجليها لوقتها إلا هو، ثقلت في السماوات والأرض، لا تأتيكم إلا بغتة»^(١).

ونموذج هذه الرواية المأثورة عن الإمام الرضا عليه السلام يضعنا أمام معطيات مختلفة وقيمة في مجمل وظائف المؤمن، وحرارك الترقب والانتظار والتمهيد، من لزوم الاعتقاد بحتمية خروج الإمام المهدي عليه السلام بعد مضي سلسلة الأئمة المنصوبين من قبله، كالجواد والهادي والعسكري عليه السلام، مهما طال الزمان، وحتمية قيامه بالحق وتطهيره للأرض من الفساد، والعمل على إقامة العدل

فيها، وأن الجهل بوقت ظهوره الشريف لا يكون مدعاة للغفلة عن انتظاره، فظهوره حتمي وقطعي كقيام الساعة، لا محالة، يأتي فجأةً وبغتةً، مثله مثلها.

٦ - نموذج في وقت الإمام الحسن العسكري عليه السلام:

عن (يعقوب بن منقوش قال: دخلت على أبي محمد الحسن بن علي عليه السلام، وهو جالس على دكان في الدار، وعن يمينه بيت عليه ستر مسبل، فقلت له: يا سيدي من صاحب هذا الأمر؟ فقال: ارفع الستر، فرفعته فخرج إلينا غلام خماسي، له عشر أو ثمان أو نحو ذلك، واضح الجبين، أبيض الوجه، دري المقلتين، شثن الكفين، معطوف الركبتين، في خده الأيمن خال، وفي رأسه ذؤابة، فجلس على فخذ أبي محمد عليه السلام، ثم قال لي: هذا صاحبكم، ثم وثب، فقال له: يا بني ادخل إلى الوقت المعلوم، فدخل البيت، وأنا أنظر إليه، ثم قال لي: يا يعقوب انظر من في البيت، فدخلت فما رأيت أحداً^(١).

وفي هذه الرواية نتلقى انطباعاتاً دقيقة عن وظيفة المؤمنين في البحث والتحري عن إمام زمانهم، كما حدث مع الراوي يعقوب بن منقوش، وتمكين الإمام الحسن العسكري عليه السلام له من رؤية إمام زمانه رأي العين، ومعرفته بالوصف والتنصيب.

المحور الثاني:

من المعلوم بداهةً وعند العقلاء، أن العلامات إنما تنصب وتجعل للاهتداء بها في الطريق الموصل إلى المطلوب، أو أنها تفيد الإراءة والكشف عن معالم الطريق من أول السلوك والشروع فيه، فتكون أسباباً للإرشاد إلى المبتغى والمقصد، وهو معرفة الإمام المنتظر الموعود.

١. كمال الدين وقام النعمة: الصدوق، ص ٤٠٨، الناشر - مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجامعة المدرسين بقم المقدسة.

وفي نطاق العقيدة المهدوية قد جعل النبي الأكرم ﷺ والأئمة المعصومون عليهم السلام علامات منصوبة وموثوقة، للتمييز بين الحق والباطل، وللإرشاد إلى الحق وأهله، والتي من خلالها تتم المعرفة اللازمة اعتقاداً وانتظاراً في التعاطي مع مقتضيات الإيمان بإمامة الإمام المهدي عليه السلام ومجريات الغيبة الكبرى والتطلع الراشد والتوطئة الفعلية للظهور والقيام بالحق والعدل والهدى.

ولسنا بصدد الخوض في تفاصيل هذه العلامات بقدر ما نقصد التركيز على حكمة العلامة، والمراد منها وأغراضها البنيوية في حراك المؤمن المنتظر، وتكليفه في حينها، ومدى ارتباطها بالتمهيد.

وحتى أن القرآن الكريم قد جعل العلامات في حد نفسها، مفهوماً ومصدقاً في نظره الحكيم للاهتمام بها في الوصول إلى المطلوب فعلاً وغرضاً وقصداً.

قال الله سبحانه: ﴿وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ (النحل: ١٦).

وإلى هذا المعنى القويم أشارت الروايات، كبيان لغرض جعل العلامات والمراد منها، فعن معلى بن محمد عن الوشاء، قال سألت الرضا عليه السلام عن قول الله تعالى: ﴿وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾، قال: «نحن العلامات، والنجم رسول الله ﷺ»^(١).

ويمكن بيان جملة من الأغراض المترتبة على جعل العلامة:

١ - إن جعل العلامة المنصوبة والموثوقة مصداقاً، يمثل ضماناً عقدياً لمعرفة الإمام المهدي عليه السلام في وقت ظهوره، ولسد الباب على المدعين أو المشككين أو الجاحدين.

وهذا ما يستدعي ركوز الطمأنينة النفسية والعقائدية عند المؤمن المنتظر، ليتقبل عصرًا جديدًا لم يعهده من قبل.

وفي الرواية الماثورة في باب من ادّعى الإمامة، وليس لها بأهل، ومن جحد الأئمة أو بعضهم، ومن أثبت الإمامة لمن ليس لها بأهل، عن عمر بن أبان، قال سمعت أبا عبد الله - الإمام جعفر الصادق عليه السلام -، يقول: «اعرف العلامة، فإذا عرفته لم يضرّك تقدم هذا الأمر أو تأخر، إن الله سبحانه يقول: ﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ﴾، فمن عرف إمامه كان كمن كان في فسطاط المنتظر عليه السلام»^(١).

وقد بين الفيض الكاشاني في كتابه الوافي مفهوم العلامة في هذه الرواية، وقال مانصه:

(يعني بالعلامة الإمام، كما ورد عنهم عليه السلام، في قوله سبحانه: ﴿وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾، إن العلامات هم الأئمة والنجم رسول الله صلى الله عليه وآله، أو يعني بها علامة الإمام ونعته المختص به، وأنه من، وابن من، وفي نسخة الشيخ الشهيد الثاني زين الدين العاملي، اعرف الغلام يعني المهدي عليه السلام، فإنه قد مضى ذكره بهذا العنوان، والفسطاط الخيمة، وفي بعض النسخ المهدي بدل المنتظر، وفي بعضها فسطاطه بالإضمار)^(٢).

وفصل الميرزا محمد تقي الأصفهاني في بيان مفهوم العلامة في لسان الروايات أكثر، بما يؤكد ضرورة تحصيل المعرفة بها عقائدياً، فذكر (قوله: اعرف العلامة، كلمة جامعة في معرفة الإمام...

١. الكافي: الكليني، ج ١، ص ٣٧٢، الطبعة الثالثة ١٣٨٨ هـ - الناشر: دار الكتب الإسلامية - طهران.

٢. الوافي: الفيض الكاشاني، ج ٢، ص ٤٣٦، منشورات مكتبة الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام العامة - أصفهان.

بيان ذلك: أن المراد بالعلامة ما يمتاز به صاحبها عن غيره، بحيث لا يشته على من عرف علامته، وعلامة الإمام إمّا راجعة إلى نسبه، أو إلى بدنه أو إلى علمه وأخلاقه، أو إلى خصائصه في حال ظهوره، والعلامات المحتملة التي أخبر بها الأئمة الأطهار...

لا ريب أن المقصود من المعرفة التي أمرنا أئمتنا عليهم السلام، بتحصيلها بالنسبة إلى إمام زماننا هو أن نعرفه على ما هو عليه، بحيث يكون سبباً لسلامتنا من شبهات الملحدّين، ونجاةً لنا من إضلال المفترّين المضلين، وذلك لا يحصل إلّا بأمرين:

أحدهما: معرفة شخص الإمام باسمه ونسبه.

والثاني: معرفة صفاته وخصائصه، وتحصيل هاتين المعرفتين من أهم الواجبات^(١).

٢ - إن معرفة العلامات والتيقن منها اعتقاداً يستدعي التوطئة والتمهيد المسبق فعلاً، لما يرجى وقوعه منها مصداقاً، ففي الروايات المأثورة يوجد تركيز على هذا البعد العملي من والاستعداد لنصرته عند خروجه وفرجه.

ف(عن أبي عبد الله الجعفي، قال، قال لي أبو جعفر محمد بن علي - الإمام الباقر عليه السلام، كم الرباط عندكم؟ قلت: أربعون، قال: لكن رباطنا رباط الدهر، ومن ارتبط فينا دابةً كان له وزنها ووزن وزنها ما كانت عنده، ومن ارتبط فينا سلاحاً كان له وزنه ما كان عنده، لا تجزعوا من مرة، ولا من مرتين، ولا من ثلاث، ولا من أربع.....)^(٢).

١. مكيال المكارم: ميرزا محمد تقي الأصفهاني، ج ٢، ص ٩٧، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت - لبنان.

٢. الكافي: الكليني، ج ٨، ص ٣٨٢، الطبعة الثالثة ١٣٨٨ هـ - الناشر: دار الكتب الإسلامية - طهران.

وبين العلامة المجلسي رحمته الله في شرح قوله: رباطنا رباط الدهر: (أي يجب على الشيعة أن يربطوا أنفسهم على طاعة إمام الحق، وانتظار فرجه، وتهيأوا لنصرته)^(١).

وقد ذكر الفقهاء مفهوم المراقبة في كتاب الجهاد، وقالوا: (والمراقبة مستحبة، وحدها ثلاثة أيام إلى أربعين يوماً، فإذا زاد على ذلك كان جهاداً)^(٢).

وبينوا المراد بها: (وهو أن يقيم المؤمن ويربط دابته في ثغر من الثغور، لحفظ بلاد الإسلام من تهاجم الكفار، فيدفعهم إذا هجموا على المسلمين، وأقل زمان هذه المراقبة ثلاثة أيام، وأكثره أربعون يوماً، فإذا تجاوز الأربعين كان ثوابه ثواب المجاهدين ولا فرق في استحباب هذه المراقبة بين زمان حضور الإمام عليه السلام وغيبته، وفيها فضل كثير)^(٣).

وقد أشار القرآن الكريم نصاً إلى معنى المراقبة ودورها في حفظ الدين والثغور من الأعداء، من خلال الثبات والجهاد، قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (آل عمران: ٢٠٠).

وكذلك في الرواية عن بريد بن معاوية العجلي، عن أبي جعفر محمد بن علي - الإمام الباقر عليه السلام في معنى قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾، قال: «اصبروا على أداء الفرائض، وصابروا عدوكم، وربطوا إمامكم المنتظر»^(٤).

١. مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول: العلامة المجلسي، ج ٢٦، ص ٥٨٢.

٢. الاقتصاد الهادي إلى طريق الرشاد، الشيخ الطوسي، ص ٣١٢، منشورات مطبعة الخيام - قم، ١٤٠٠ هـ.

٣. مكيال المكارم: ميرزا محمد تقی الأصفهاني، ج ٢، ص ٣٩٧ - ٣٩٨، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت - لبنان.

٤. الغيبة: النعماني، ص ٣٤، منشورات أنوار الهدى، إيران - قم المقدسة.

وعن الإمام جعفر الصادق عليه السلام في معنى «رابطوا»، قال: «المقام مع إمامكم»^(١).

وللشيخ حسين الكوراني العاملي رحمته الله بيان قيم لمفهوم المراقبة في عصر الغيبة الكبرى وارتباطها الوثيق بالانتظار والتمهيد والإعداد.

قال ما نصه: (ولا شك أن الوقوف مع الإمام المنتظر عليه السلام أثناء غيبته إنما يتحقق بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والجهاد في سبيل الله مع نائبه الفقيه الجامع للشرائط، انطلاقاً من الاهتمام بأمور المسلمين ومواجهة الطواغيت الذين يريدون ليطفؤوا نور الله تعالى).

وفي هذا السياق يمكن فهم الروايات التي تتحدث عن إعداد السلاح، أو واسطة النقل (الدابة وغيرها)، فالانتظار عمل دائم باتجاه تزكية النفس (الجهاد الأكبر)، وحمل هم المسلمين لا ينفك عن الجهاد الأصغر.

إن الانتظار لا يعني على الإطلاق تأجيل الصراع مع أعداء الله حتى إشعار آخر، وإنما يعني استمرار الصراع حتى تكون الجولة الفاصلة بإذن الله على يدي وليه الإمام المنتظر.

ومن النتائج العملية المترتبة على ذلك الاهتمام بالتدريب العسكري، وإن المراقبة مع عدم القدرة على القتال أمر عثي.

وإن المراقبة في غيبة الإمام المنتظر تعني امتلاك الأمة رصيдаً كبيراً من الإحساس بالمسؤولية، يحملها على تحصين ساحتها بالإعداد العسكري، الذي يمكنها من حماية ثغورها، والمراقبة عليها في مواجهة كل قوى الكفر والنفاق^(٢).

١. بحار الأنوار: العلامة المجلسي، ج ٢٤، ص ٢١٧، دار إحياء التراث العربي - بيروت - لبنان، الطبعة الثالثة المصححة، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

٢. آداب عصر الغيبة الكبرى: الشيخ حسين الكوراني، ص ٥٢، دار التعارف للمطبوعات، بيروت - لبنان.

٣ - للعلامات - ولو البعض منها كاليمني - دور مكين وراسخ وفاعل في تربية المؤمنين المنتظرين تربيةً روحيةً وفكريةً وسلوكيةً، قادرةً على تحمل انتظار الإمام المهدي عليه السلام وتلقي فرجه الموعود، طبقاً لمقتضيات الظروف الزمانية والمكانية، والحيثيات الموضوعية.

المحور الثالث: قد يقال: نحن مأمورون بالانتظار، ولا يوجد أمر بالتمهيد:

وهل الانتظار بإطلاقه وبمعناه الواسع يشمل التمهيد فعلاً، بحيث يكون من أعلى مراتبه؟

مما لا ريب فيه اعتقاداً هو أننا مأمورون بانتظار إمامنا المهدي الموعود عليه السلام، بحسب ما جاء في لسان الروايات الكثيرة والمعتبرة والصحيحة، انتظاراً يتقوم بحيثيات عبادية ونفسية وفكرية وسلوكية، لها تأثيرها المؤكد في بناء الشخصية القادرة على تحمل التكليف الشرعي والعقائدي، في وقت الغيبة والظهور، وقيام الحق فعلاً.

وإن طبيعة الانتظار غير قاصرة عن شمول التمهيد كحصة أو مصداق عملي، بحكم إطلاقه مفهوماً وتطبيقاً.

ووجه كون الانتظار واجباً عقائدياً، لما يمثله من كونه محققاً لما هو المطلوب بحسب المرتكزات الشرعية والعقلانية في التعاطي مع ما يرجى وقوعه حقاً، ويرغب فيه أملاً، ويتيقن به وعداً وحتماً.

وإلى هذا المعنى المعقول أشار الشيخ بشير النجفي (حفظه الله تعالى) في كتابه (ولادة الإمام المهدي عليه السلام)، بما نصه:

(إن الانتظار واجب بحكم العقل والشرع، أما العقل - فلما نعلم من طبيعة البشر أنه لا يندفع إلى فعل، لا ينبغي أن يندفع إليه، إلا إذا أحرز أنه يؤدي إلى ما يرغب فيه ويتمناه، وتوقع الوصول إلى البغية يدفعه إلى العمل، فالتوقع والانتظار لدولة الحق على يد الإمام المنتظر عليه السلام مقدمة أساسية ومنطلق فكري وعملي، نحو بذل الطاقة والجهد في سبيل الوصول إلى تلك البغية.

وأما الشرع - فقد ورد الأمر بالانتظار في كثير من الروايات فبلغ حد التواتر، بل في بعضها أن الانتظار من أفضل الأعمال في عصر غاب عنه الحق عن البسيطة، وأصبحت الأرض بيد الطغاة، يلعبون بالصالحين وبمقدراتهم، بل مقدرات الشعوب كلها، حسب ما تشتهي أنفسهم، وتدفع إليه أهواؤهم، كما عن رسول الله صلى الله عليه وآله ضمن حديث (انتظار الفرج عبادة) ^(١)،... وفي رواية عن الإمام علي عليه السلام: «انتظروا الفرج، ولا تيأسوا من روح الله، فإن أحب الأعمال إلى الله ﷻ انتظار الفرج» ^(٢)، ^(٣).

ومن المعلوم أنه لا يوجد نهى اعتقادي أو شرعي عن التوطئة والتمهيد خلال الغيبة الكبرى، وقبيل الظهور والقيام الشريف، فيندرج هذا المفهوم والحراك تحت مظلة الانتظار المأمور به اعتقاداً ونقلاً، بحيث يمكن أن يمثل أحد معالمه وركائزه الفعلية في الامتثال والتطبيق.

١. كشف الغمة في معرفة الأئمة: علي بن أبي الفتح الإربلي، ج ٢، ص ٣١٣، دار الأضواء - بيروت.

٢. الخصال: الصدوق، ص ٦١٦، منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية - قم المقدسة.

٣. ولادة الإمام المهدي: محاضرات المرجع الديني الشيخ بشير النجفي (دام ظله)، ص ١١٤ - ١١٥، ط ٨، مؤسسة الأنوار النجفية.

وقد بين هذا المعنى القيم آية الله السيد محمد باقر الحكيم رحمته الله:

فذكر نصاً: (وأصبح من ثم التمهيد للظهور أحد معالم هذا الانتظار، وأحد العوامل المؤثرة في التحرك من أجل إقامة حكومة العدل المطلق في تاريخ هذه الجماعة الصالحة)^(١).

وقال رحمته الله في مقطع آخر: (شعور الانسان المؤمن بفكرة الإمام المهدي عليه السلام، بأن مجمل أعماله ونشاطاته هي مساهمة في الدور التاريخي، وأداء له في التمهيد لقيام حكومة العدل الإلهي المطلق، التي يحققها الإمام المهدي عليه السلام).

فبدلاً من أن ينظر الانسان المؤمن إلى تقويم دوره وأعماله ونشاطاته من خلال الأهداف المنظورة في حياته الشخصية القصيرة، أو من خلال ما يمكن أن يحققه، أو يتحقق من إصلاحات في المجتمع الانساني، وعندئذ قد يرى كل تلك الأعمال والنشاطات محدودة التأثير والأهداف فيزهد فيها، نرى أن الانسان المؤمن بفكرة الإمام المهدي عليه السلام إنما يقوم بدوره الخاص في سلسلة المراحل والأهداف والأعمال التي تنتهي مجتمعة إلى إقامة ذلك المجتمع الانساني الفاضل.

وهذا بطبيعة الحال يمنح الانسان مستوى عالياً من الروح المعنوية في التعامل مع نشاطاته وأعماله وتضحياته، حيث يصبح الهدف كبيراً وعظيماً يغطي كل هذه النشاطات والأعمال والجهود والتضحيات مهما كانت كبيرة وصعبة، أو صغيرة ومحدودة)^(٢).

١. دور أهل البيت في بناء الجماعة الصالحة: السيد الشهيد محمد باقر الحكيم، ج ١، ص ١٩٦، الناشر: مركز الطباعة والنشر للمجمع العالمي لأهل البيت عليه السلام الطبعة الأولى: ١٤١٩ هـ.ق.

٢. دور أهل البيت في بناء الجماعة الصالحة: السيد الشهيد محمد باقر الحكيم، ج ١، ص ٢٠٣، الناشر: مركز الطباعة والنشر للمجمع العالمي لأهل البيت عليه السلام الطبعة الأولى: ١٤١٩ هـ.ق.

فالتمهيد يمثل الاستحضار الحي والفاعل لانتظار الإمام المهدي عليه السلام، وأعلى مراتبه في مجمل المستويات الاعتقادية والمعرفية والسلوكية والتربوية والتكاملية والتدبيرية.

بناءً على إمكان تصيد عنوان التمهيد من الإطلاق الأحوالي لكثير من الروايات المعتمدة والصحيحة، التي أكدت على أهمية وظيفة الانتظار وضرورتها عبادةً وسبيلاً في عصر الغيبة الكبرى، ولكونه مناظراً لغوياً ودلالياً لمفهوم التوطئة للإمام المهدي عليه السلام، يمكن تصنيفه - أي التمهيد - في المراتب العليا للانتظار الراشد، والمركز على التفاضل في حراك المنتظرين.

كما ورد ذلك بلسان الرواية الماثورة، من أن الإمام علي بن الحسين عليه السلام قال:

«يا أبا خالد إن أهل زمان غيبته القائلين بإمامته، والمنتظرين لظهوره أفضل من أهل كل زمان، لأن الله تبارك وتعالى أعطاهم من العقول والأفهام والمعرفة، ما صارت به الغيبة عندهم بمنزلة المشاهدة، وجعلهم في ذلك الزمان بمنزلة المجاهدين بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله بالسيف، أولئك المخلصون حقاً، وشيعتنا صدقاً، والدعاة إلى دين الله تعالى، سرّاً وجهراً»، وقال علي بن الحسين عليه السلام: «انتظار الفرج من أعظم الفرج»^(١).

وللشيخ المنتظري رحمته الله تعليق قيم في بيان مفاد ودلالة هذه الرواية، بما يجعل الانتظار تمهيداً ومن مقدمات الفرج، فذكر ما نصه: إن انتظار الفرج ليس مجرد شعار أجوف، وإنما هو صبر، واستقامة واستعداد عملي،

١. كمال الدين وتمام النعمة: الصدوق، ص ٣٢٠، الناشر - مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المقدسة.

وتمهيد لمقدمات الفرج، فإن الذي ينتظر ضعفاً عزيزاً، يبادر إلى إعداد داره، بشكل يتناسب وشأن ضيفه، وعليه فإن المنتظرين له يشعرون بالحاجة إليه، ويدركون أهدافه، ويتوقعون ظهوره في كل لحظة، وأنه سيطلب منهم العون والنصرة، للوصول إلى أهدافه المقدسة^(١).

عند مراجعة بعض الروايات الماثورة في شأن القيام والظهور والفرج، يظهر معطى دلالي قيم، يؤكد على عدم عفوية أمر ظهور الإمام المهدي عليه السلام، واستسهال ظهوره، ومدى ارتباطه المكين بشروط واقعية وموضوعية، تستدعي العمل المسبق والمنظم، والذي يقوم على أساس التخطيط وبذل الوسع من الجهد والمشقة ومواجهة الصعاب، وتقديم التضحيات، حتى يستقيم ذلك الأمر الإلهي الموعد حتماً وتحققاً.

وقد أورد الشيخ الطوسي رحمته الله في كتابه (الغيبة) هذه المعاني الاعتقادية والموضوعية والواقعية في عدة روايات، يستظهر ذلك منها بوضوح وصرامة. فروى عن بشير النبال، أنه قال: لما قدمت المدينة، قلت لأبي جعفر، الإمام محمد الباقر عليه السلام: إنهم يقولون: إن المهدي لوقام، لاستقامت له الأمور عفواً، ولا يهريق محجمة دم، فقال: «كلا، والذي نفسي بيده، لو استقامت لأحد عفواً، لاستقامت لرسول الله صلى الله عليه وآله حين أدميت رباعيته، وشج في وجهه، كلا، والذي نفسي بيده حتى نمسح نحن وأنتم العرق والعلق^(٢)، ثم مسح جبهته»^(٣).

١. من المبدأ إلى المعاد في حوار بين طالبين: الشيخ المنتظري، ص ١٦٨، ط ١ - قم - ١٤٢٥ هـ.

٢. كناية عن ملاقة الشدائد التي توجب سيلان العرق والجراحات المسيلة للدم.

٣. الغيبة: الطوسي، ص ٢٩٥، منشورات أنوار الهدى - الطبعة الأولى - ١٤٢٢ هـ. ق.

فإن نفي عفوية القيام المهدوي دون ملاقات الشدائد قبل الظهور الشريف، في متن هذه الرواية، يؤكد على أن استقامة الأمر الموعود، وتحقيقه مرهون واقعاً وفعلاً بالتمهيد المنظم، والتوطئة على وجه يتحمل فيه المؤمنون المنتظرون مواجهة الصعاب والتضحيات والأذى على مستوى أنفسهم والإمام المهدي عليه السلام معاً.

وفي رواية أخرى عن الفضل بن عمر، قال: سمعت أبا عبد الله الإمام جعفر الصادق عليه السلام، وقد ذكر القائم عليه السلام، فقلت: إني لأرجو أن يكون أمره في سهولة، فقال: «لا يكون ذلك حتى تمسحوا العلق والعرق»^(١).

وكذلك الحال في هذه الرواية أيضاً، يتبين أن أمر الظهور والقيام ليس بالأمر السهل في تحقيقه، ضمن معطيات وحشيات الظروف والشرائط في وقتها، إلا بعد بذل الجهد المنظم، وتجاوز الشدائد بتحملها، وملاقاتها بما فيها من تحمل الأذى والمشقة والضرر.

خلاصة البحث:

إنّ التبع الدقيق في ما تحمله متون بعض الروايات المهدوية المعتبرة، يغطي مجمل وظائف الإنسان المؤمن في تعاطيه الاعتقادي مع مسألة الغيبة الكبرى للإمام المهدي عليه السلام ومقتضياتها، من الترقب والانتظار والتوطئة أو التمهيد، وما يكتنف ذلك من تطبيقات وخيارات، وأدوار ومكتسبات، يبين للباحث ثمة تداخل مفاهيمي دلالي عميق بين هذه المرتكزات الثلاثة في حراك الوظيفة والعلاقة بين المؤمنين وإمامهم المهدي المنتظر الموعود، ودخالتها

١. الغيبة: الطوسي، ص ٢٩٥، منشورات أنوار الهدى - الطبعة الأولى - ١٤٢٢ هـ. ق.

المباشرة في تعجيل الفرج وتحقيق الظهور، وقيام العدل والحق والهدى، ودفع الظلم والجور عن العباد، ومحاربة الفساد في الأرض.

فهذه المفاهيم الثلاثة (الترقب - الانتظار - التمهيد) هي وظائف اعتقادية وعقلية مشروعة، ومنصوصة في لسان الروايات، بل هي أفضل العبادات في منظومة التعاطي العقدي مع الإمام المهدي عليه السلام في عصر الغيبة الكبرى.

